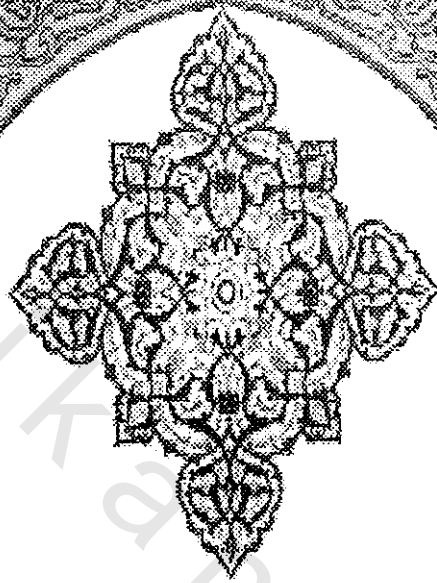

سورة المجادلة

obeikandl.com

﴿ سورة المجادلة ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾

إعلان بأهمية الأدنى فى سماعه، والاحساس بشكواه، كما يهتم الحق سبحانه بالأعلى ويسمع شكواه، وهذا هو نهاية إقامة العدل فى المملكة الإلهية وانه سبحانه حق متحقق بحقانيته لا يفرق بين مخلوق ومخلوق.

﴿ ۚ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ﴿٦﴾ ۚ ﴾

أحصى الله ما نسوه هم من ذنوبهم كبيرها وصغيرها، وأخرجها من دائرة النسيان، بعد أن ظنوا أنهم لا يؤاخذون بها وأن أحداً لن يذكرهم بها، وأنه لن يوجد من يحصى عليهم تلك الدقائق الخفية .

وأعلم أنه لما كان سبحانه هو المحصى لمكونات الوجود وما صدر عن هذا الوجود من التصرفات، كان اسمه سبحانه المحصى، منتجاً للإحاطة بكل الأشياء ولذا قال سبحانه : ﴿ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴾.

ولم يكن سبحانه من هو يحصى مثله، وقد خرج احصاؤه عن دائرة العد والحصر إلى طور ما لانهاية له حيث يعلمه هو وحده يقول سبحانه ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ ﴾، ومعنى ﴿ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾ أى أخرج الحق سبحانه الإحصاء من طور العدد إلى طور ما وراء حيث لا عدد ولا حصر عليه سبحانه .

أقول: وفى هذا نكته عجيبة، ونادرة إلهية فريدة، وواردة رحمانية فريدة، وهو أنك لو قلت لأكابر أهل الإحصاء فى العالم الذين يمتلكون أعظم الأجهزة احصوا عدد حبات رمال الأرض وعدد أوراق الشجر وعدد شعر البشر لعجزت هذه الأجهزة ولو ظلت تحسب ذلك من آدم حتى الساعة .

﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٦ ﴾

أى أنه سبحانه شاهد على احصاء كل شئ فى مملكته من بدء خلقه حتى نهاية الخلق .

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٧ ﴾

هو سرد لإتمام أوصاف الإحاطة الإلهية فيه سبحانه وتعالى عما يشركون .

﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـٔٗا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١٠ ﴾

نص الإمام الشعرانى فى كتابه "اليواقيت والجواهر" فى بيان عقائد الأكابر على أن الوسوسة جائزة فى حق الأنبياء والأولياء ولكن لا يجوز أن يعملوا بها، فالإلقاء الشيطانى فى حق الأكابر جائز واحتج بقوله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِى أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

وكذلك احتج بحديث العفريت الذى تعرض له ﷺ وهو يصلى، فإذا علمنا هذا فى حق الأنبياء تحققنا بخطر اللعين وسعة دائرة مكره .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١ ﴾

"تفسحوا فى المجالس" أى غادروا مقاماتكم الحالين فيها وارتحلوا إلى مقامات أعلى – يرقيكم بها الحق سبحانه – لكى تفسحوا لغيركم فيحل فيها، ولذلك قال بعدها : ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ ﴾ أى يرفع الله المرتحلين فيرقيهم إلى مقامات أعلى وأحظى عنده من السابقة.

أقول: وذلك أن هناك المنتظرين للترقية ولا يتم ذلك إلا بافساح غيرهم لهم، ولذلك ورد فى الحديث الشريف أن أفضل الأعمال هو الحال المرتحل، وإنما قصد ﷺ قارئ القرآن، الذى يقرأه فيحل فى السورة ثم يتركها، ويرتحل من سورة إلى غيرها وإنما هو فى حقيقة المعنى يترقى من مقام إلى مقام، وينتقل فى المقامات نتيجة قراءته لكتاب الله عز وجل .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ

﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣ ﴾

أى إذا وقفتم فى مقام مواجهته ﷻ طلباً للاستمداد منه، وهو المعبر عنه بالتناجى، ففى هذه المواجهة يجب الوقوف بين يديه ﷻ بالطهارة التامة (الحسية والباطنية)، فإنه لا استمداد منه ﷻ بدون طهارة الباطن والظاهر، وتفرغ الأبدان لمواجهة هذا الشأن.

والصدقة المشار إليها فى الآية، هى التى يتصدق بها العبد على ذاته لكى يتطهر أمامه ﷻ، ويكون كامل الطهارة أثناء الدخول عليه ﷻ، لا كما يفهم من ظاهر الآية أنه يتصدق بهذه الصدقة عليه ﷻ أو على غيره وإنما فى حقيقة المعنى أنه يتصدق على نفسه، لكى تتم له الجمعية الكاملة بحضرة النبى الأكرم ﷺ، فإنه ﷻ هو المتصدق على الوجود بأسره بأنواره وامدادته، وحاشاه ﷻ أن يتصدق عليه أخر من الخلق.

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ۝١٨ ﴾

يحلفون للحق نفسه سبحانه كذبا يوم القيامة وذلك لتحكم الظلام فى ذواتهم، واستعدادهم للكذب، ولو أمام الحق نفسه، وفى هذا جرأة ليس بعدها جرأة.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ۝٢٠ ﴾

الذل المشار إليه فى الآية هو زيادة الظلام فى أرواحهم وذواتهم، وإذلالهم بزيادة حجابهم وبعدهم عنه سبحانه وتعالى يقول سبحانه: ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾.

﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾

وذلك بانتصار رسله على عوالم الظلام وقهرها فى هياكل البشر، واحلال النور بدلاً منها، وهو أعظم النصر وهو الجهاد الأكبر كما عبر عنه حضرة النبى الأكرم ﷺ.

أقول: وهذه هى الغلبة الحقيقية للحق سبحانه بانتصار من يرسلهم من الرسل، لكى يقهروا الصفات الظلمانية فى البشر، ويغيرونها بصفات الأنوار الربانية، أقول: وهو أصعب شئ خلقه الله عز وجل، ويقول الحق سبحانه لحبيبه حضرة المصطفى ﷺ فى ذلك ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ أى أن الهداية – وهى الغلبة – هى بيدى.